خطبة: وقفات مع آيات (2)

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

نواصل اليوم التدّبر لبعض ايات كتاب الله ، وكما أمر ربنا جلّ وعلا وقال "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29 ص)

فالتدبّر والفهم يعلّم الجاهل ، ويذّكر الناسي وينبّه الغافل ، ويعظ المدبر ، ويثبت المستقيم على أمر الله ،

ونقف اليوم مع ايات من سورة ال عمران ، لنجد العجب العجاب من سعة رحمة الله ومغفرته وكرمه ، لنتامل هذه الايات -عباد الله- في استهلالها ثم في ماجاء في وسطها ثم لنتدبّر ماجاء في خاتمتها من البشارة .

قال تعالى :

۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)

بدأت الايات بالأمر بالمبادرة والمسارعة لنيل مغفرة الله التي هي سببٌ للفوز بجنّةٍ سعتها السموات والأرض ، أعدّها الله تعالى لعباده المتقين ، الذين اتقوا مخالفة أمره وتجنّبوا التعرض لسخطه بفعل ماأمر به واجتناب مانهى عنه ، ثم شرعت الايات بذكر خصال وافعال أولئك المتقين والتي كانت سببا لفوزهم بهذا النعيم المقيم ، قال تعالى :

الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)

فهم يبذلون أموالهم في سبيل الله وابتغاء مرضاته في وقت السعة والسراء وكذلك في وقت الشدة والضراء ، ثم هم متسامحون مع من يخطيء عليهم ، يأخذون بالعفو والمسامحة وكظم الغيظ ، مع القدرة على الرد ، وذلك لعلمهم بثواب ذلك عند الله تعالى ، وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وهوَ قادِرٌ على أنْ يُنْفِذَهُ ؛ دعاهُ اللهُ سبحانَهُ على رُؤوسِ الخَلائِقِ ( يومَ القيامةِ حتى يُخَيِّرَهُ مِن الحُورِ العِينِ ما شاءَ ." ( صحيح الترغيب ) ،

ولذلك وصفهم الله تعالى بالمحسنين وكافأهم بمحبته جلّ وعلا ، فهم قد انفقوا من اموالهم كما بذلوا من سعة صدورهم وأخلاقهم والله يحب المحسنين .

معاشر المؤمنين

ومع هذه الخصال الكريمة والأفعال الصالحة لأولئك المتّقين إلا إنهم لم يخرجوا عن بشريتهم ، فأصابهم مايصيب بني ادم ، قال صلى الله عليه وسلم

" كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ " (صحيح الترمذي )

وتأملوا عباد الله كيف أنّ هؤلاء المتّقين وقعوا فيما وصف ربّنا جلّ وعلا وقال :

" وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ" (135)

أسمعتم عباد الله ؟ فعلوا فاحشةً او ظلموا أنفسهم ، والفاحشةُ هي ماقبح من الذنوب وظلموا أنفسهم ، ومع ذلك ، لم يقعوا فريسةً لتيئيس الشيطان وإغوائه كما يقع البعض ، هداهم الله ، اذا أذنب أحدُهم ذنبا وسوس له الشيطان " أنت ميئوسٌ منك ولاخير فيك " ، واذا ترّدد على المساجد قال له " انك منافق ، كيف تذنب وتأتي لتصلي مع أولئك الصالحين الذين ليسوا مثلك ؟

هذا نفاق ، والخير ألا تأتي للمسجد ، فأنت لاتصلح لهداية ولا لإستقامة واستمر في غيك أفضل " .

وهكذا حتى ييأس هذا المذنبُ من رحمة الله ، كما في قصة قاتل المائة نفس التي قصّها صلى الله عليه وسلم لصحابته ، عن رجلٍ قتل تسعةً وتسعين نفسا ثم ندم ، وسأل عمن يفتيه ، فدّلوه على عابد ولكنه ليس بعالم ، فذهب اليه وسأله : هل له من توبة فردّه هذا العابد وصدّه ، وقال " لاتوبة لك " ، فلما أيأسه قتله وكمّل به المائة ،

ثم ندم وعاد يسأل فدلوه على عالم ، فلما سأله قال العالم :" نعم، ومنْ يحُول بيْنه وبيْنَ التوْبة؟ انْطَلِقْ إِلَى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أُناسًا يعْبدون الله تعالى فاعْبُدِ الله معهم، ولا ترجعْ إِلى أَرْضِكَ؛ فإِنها أرضُ سُوءٍ "

.

وهكذا عباد الله فإن هؤلاء الذين فعلوا الفاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله تعالى فندموا وأنابوا الى ربهم وتابوا من ذنوبهم ولم يصرّوا ويقيموا عليها بل اقلعوا عنها ،

وصدق الله جلّ وعلا إذ يقول "

۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)

وفقنا الله لما يحب ويرضى وأعاننا على البّر والتقوى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

وماذا كانت عاقبة أولئك وماذا كان جزاؤهم ، قال تعالى :

أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136)(ال عمران)

نعم عباد الله جزاء أولئك الذين اتّصفوا بتلك الصفات الجليلة الجميلة : مغفرةً وسترا لذنوبهم ، ثم جنّات ٍ فيها البهجةُ والسرور والبهاءُ، والقصور ، والمنازل العاليات الأنيقة والأشجار المثمرة البهية، والأنهار الجاريات في تلك المساكن الطيبات، { خالدين فيها } لا يحولون عنها، ولا يبغون عنها بدلا، { ونعم أجر العاملين } عملوا لله قليلا فأجروا كثيرا ،

فتأملوا أثابكم الله في سعة رحمة الله ، وانظروا في تلك الخصال الكريمة التي امتدح ربُّنا أهلها ، وتدبّروا فيما ينبغي على المؤمن فعله اذا أذنب ان يبادر الى التوبة والأوبة والاستغفار كما رغب ربنا جلّ وعلا بنا وقال

۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)